التأصيل الشرعي للسلامة

أتت الشريعة الإسلامية منهجًا صالحًا لكل زمان ومكان، تلك حقيقة وعين الواقع، فعلى مرِّ الزمان كان الإسلامُ قابلًا لاستيعاب الجديد، في مضامينه حلول لمشكلات التحولات المعاصرة، تجمع بين الجوانب الإيمانية والتعاملات الاجتماعية وضرورات الحياة، غايتها مصلحة العباد، وحفظ كيانهم وصيانة عناصر معاشهم، ففيه سعة لا تضيق بجديد المعاصرة من خلال نصوص شرعية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ترشد العباد إلى ما يمكن أنْ نطلق عليه بلغة العصر بتقنيات تقيهم بأس الأحداث ومهددات الأخطار التي تُودي بحياتهم وتتلف محاصيلهم وما يوحي بإيلامهم. حيث ركّز الإسلام بقوة على ثوابت يسلم الإنسان بأس نفسه رحمة بالعباد ورأفة بضعفهم، يحضّهم على الأخذ بها وجعلها مبدأ يصبو إليه ميولهم لتأمين سلام الحياة في مختلف تقلباتهم.

ومن عموم لفظ السلام جاء اشتقاق لفظ السلامة، وهو اسم من أسماء الله الحسنى تباركت أسماؤه ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] ، فلا

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

يختلف اثنان على أن السلامة تستأثر على قدر كبير من الأهمية، وتستحوذ على مساحة من هواجس البشر بما تُشكله من قيمة عالية تؤطر حياتهم وتصون معيشتهم؛ ليستقر أمانهم النفسي والمعيشي، مضبوطةً بجملة من القواعد تحميهم من ويلات المهالك؛ حفاظًا على النفس والمال والعيال ومكتسبات الأقوات؛ ليحيا الإنسانُ حياةً لا يمسها نصب الحوادث، أو يلحقها وهن الأخطار؛ كي لا تقوض حركته أو تعيق سعيه وتُذهب نفسه وماله، مستأمنًا بسلامة الله لينصرف إلى كسْب قوته في غير خوف يصيبه أو ريبة تروعه، يحيد بالخطر عنه جانبًا ويبعد شبح الحوادث التي تضطرب بها أحواله أو ما يفسد بقاؤه.

ولم يرد لفظ السلامة في القرآن الكريم نصًّا ولكنه ورد اشتقاقًا من لفظ السلام، وهو اسم لمعاني الأمان وسلام من شبح الخطر ومعاني الهلاك، فقد ورد اسم السلام في الذكر الحكيم في (١٣٢) مئة واثنين وثلاثين موضعًا، ومع تعدد مواضع ورودها فإن مدلولها واحد وإن اختلفت مناسبات الورود. أي الأمان والخلو من تداعيات ما يثير الخوف والرعب والفزع أو يورث الفواجع المهلكة والمضرات المؤذية.

ذلك أن السلام كلٌّ لا يتجزأ ومنه اشتقت السلامة، مقتضاها ضرورة على مستويات حياة الإنسان وحفظ ما هيأه الله من نعم. فمنْ سلم أمن ودخل قلبه الاطمئنان، فالسلام النفسي مرتبط بالسلام المكاني في منزل مأمون من خطر سليم من حدث؛ ليحيا حياة

رغيدة، يحوِّل أحلامه إلى حقائق في ظل شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتوخّى الحذر ويتوقّى من خطر.

وسوف نحاول رصد الأدلة على أن السلامة أمرها عظيم وغايتها كبيرة؛ ليرعاها الإنسان رعاية خاصة، ويُوليها أهمية درايته، غير مفرط فيها لئلا يصيبه مكروه الحوادث.

فمن وحي الذكر الحكيم وسنة المصطفى الأمين ووصايا صحابته الأكرمين الذين نهلوا من منهل مدرسة النبوة، نُورد:

أولاً: من وحي الذكر الحكيم: قوله تعالى:

١- ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

يقول الشيخ الشعراوي: "يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون، أو ما هو عزيز عليهم إلا بسبب ما قدَّمت أيديهم من السيئات" .

وإذا أخذنا بقاعدة العبرة بعموم القول لا بخصوص السبب فإن ذلك ينسحب على حياة الإنسان من حيث متطلبات سلامته وأمان كيانه، إن أهملها ولم يسترشد بالهدي القرآني ويراعيها فهذا يعني أنه ليس ببعيد من دائرة الخطر والفرصة مهيأة لاحتمال وقوعه، وتحلّ به مصيبة الحوادث إنْ لم يتزود باحتياطات مناسبة.

وفي معنى الآية حثٌّ من المولى عز وجل على أن الإنسانَ مسؤول مسؤولية مباشرة عن دفع المصائب والنظر إلى ما يحيق

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

به من مخاطر يحتاط ضدها بوسائل وقاية وأدوات حماية وأساليب مكافحة؛ لمنع وقوعها قبل أنْ يقع كابوسها، وإلا فجع بها يصارعها وجهًا لوجه، فإن لم تقع اليوم فاحتمال وقوعها وارد. فقط احتمالها مرهون بتهيئة ظروفها.

٢- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾[١] البيوت نعمة من نعم الله لعباده، فيها مقرّ إقامتهم وملاذ سكناهم، يستلزم المحافظة على سلامتها من المهددات ليكون سكنًا آمنًا ، والسكن يعني محل سكون ومستقر إقامة وخلود راحة.

٣- ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[٢] أي على الإنسان أن يتخذ إجراءات كفيلة بسلامته ومنع ما يجعله عرضة لمآسي الأحداث.

٤- ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [٣] وفي هذا حضّ على الحذر من محدثات لا قبلَ لهم بها ولا قدرةَ على مواجهتها أو منع وقوعها إنْ لم تكُنْ لها محاذرًا ولها مراقبًا وتتخذ أسباب منعها ومدافعتها إذا وقعت.

٥- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [٤] وذلك أن النظافة سلوك إسلامي، حث عليها الإسلام قبل الحضارة المعاصرة، وفي هذا تلميح يدخل في نطاق نظافة المنازل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

٦- ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

فالتوكل على الله من صميم الإيمان وكمال التوحيد، والأخذ بالأسباب لا ينافي معنى التوكل على الله. وكما يقول شيخ الإسلام ابن القيم في زاد المعاد: لابد من التوكل لمباشرة الأسباب، فالإنسان مأمور بالتوكل على الله، ثم الأخذ بالأسباب سواء جلب المنافع أو دفع المضار.

٧- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾ (٢)

وفي هذا إرشاد إلى ارتداء الملابس الواقية ، وهو ما يعني حماية سكان المنازل من لسعات الحر على مختلف مصادرها؛ وينسحب عليها ما يقي من شدة البرد باستخدام وسائل التدفئة المنزلية.

ثانيًا: من وحي السنة النبوية:

تزخر السنة المطهرة بأحاديث مروية عن المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يعلِّم الأمة ما يجنّبهم المخاطر ، قوله:

١- "لا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ " (٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) متفق عليه.

ففي هذا إشارة إلى فواجع النار، وهو حثٌّ على اتخاذ تدابير السلامة من عدو لا يرحم بالمراقبة والمتابعة والتحوط منها بوسائل حمائية لمنع وقوعها كإجراء احتياطي.

٢- "**إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**"(١).

في هذا توجيه وتنبيه لابن آدم بوجوب التوقي منها والاحتراس من شرها.

٣- " **إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**"(٢).

وهو إشارة تعلمنا كيفية مكافحة حوادث الحريق؛ كي لا يمتد لهيبه، وهو أحد أساليب المكافحة.

٤- "**غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً وَلَا يَفْتَحُ بَابًا وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ**"(٣)

تلك توجيهات نبوية تعلِّم الإنسان كيف يقي نفسه وأدواته وما يعتاش عليه؛ كي لا يطالها القذى.

٥- " **اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ** "(٤). وهو توجيه للأخذ بالأسباب مع التوكل، وهو ما ينسحب على المنزل، فمنْ يفتح منزلًا لا بد أنْ يكون بيته تحت رعايته، والتوكل على الله بأخذ أسباب السلامة فيه.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

ثالثًا: من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم:

فمن وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: أصلحوا عليكم مثاويكم – أي منازلكم. ومما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب قوله: ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

فمن مدلولات الهدي القرآني، وأحاديث معلم الأمة وأقوال من نهلوا من مدرسة النبوة، خير برهان على عناية الإسلام بأمور السلامة، ودليل عناية بحياة الإنسان ومستلزماته المعيشية؛ تأمينًا من خطر ودرءًا للحوادث في مسكنه ومقر إقامته. ومن تلك التوجيهات الشرعية يمكن أن نستخلص الحكم الشرعي للسلامة:

حكم السلامة

من التأصيل الشرعي للسلامة وأهميتها يمكن القول بحكمها من أبعاد ثلاثة:

أولاً: البعد الشرعي:

بما أن السلامة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ضمانًا لحفظ الضرورات الخمس، وهي: (النفس، المال، الدين، العقل، العرض).

والشاهد هنا "المال والنفس" التي تأتي المنازل على رأس قائمتها كونها مالا تحوي داخلها أنفس ساكنين مكلفين بأسباب المحافظة عليها من الهلاك، وصيانتها من الضرر، وحمايتها من التلف، فيصبح تكليفًا شرعيًّا؛ لأن الأسباب تأخذ حكم المقصد. وكما هي القاعده الفقهية. مالم يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ثانيًا: البعد الفطري:

هي شعور غريزة مغروسة في ثنايا الكائن الحي الذي بطبعه ينفر مما يسوؤه لمجرد شعوره به، وهي ليست قاصرة على الإنسان بل حتى الحيوان إذا أحسَّ بخطر فإنه يفرّ منه فرارًا تلقائيًّا، يدخل جُحره أو يأوي إلى كهفه أو يلوذ بما يتحوط به، أو على الأقل ينأى عنه بعيدًا كي يسلم منه .

وهو نفس الشعور عند الإنسان يتحسس مكان الخطر ويستشعر الحوادث تحسبًا فيأخذ بأسباب الوقاية منها، بعمل تدابيرها يجير نفسه عواقبها بتأمين سكنه بدواعي سلامته.

ثالثا :البُعد الحضاري :

أما بُعدها الحضاري ، فكلما تقدَّم الزمن وتطورت آليات الحياة، تغيَّرت مظاهر المعيشة تبعًا لتحولاته، يتحول معها الإنسان وتتطور مداركه بتأثير المد الحضاري، حيث تفرض عليه التعامل مع التطورات ليواكب زخم الزمن، والإقبال على المستجدات بقدر من التحسُّب؛ ليكون في مأمن مما تُفرزه من مخاطر، فالحضارة اليوم بهائل تقنياتها تحمل في طياتها ما هو إيجابي وسلبي، فهي بقدر ما تعطي من يُسْر فلا تخلو من عُسْر، وبقدر ما فيها من إيجابية لا تخلو من سلبية، تمثِّل خطرًا على الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة تتطلب تعاملًا محسوبًا فهي ملاذ أمان بعد الله، من أخذ بأسبابها متوكلاً على ربه كفاه.

وإذا كانت موجبات السلامة ظلَّت وما زالت أُسًّا من أسس حياة الإنسان مفطورًا عليها، ينشدها في أماكن تواجده، فإن من أهم ما يمكن أنْ يتركز عليه اهتمامه سلامة منزله يستلهم مكامنَ الخطر

فيه قبل أن يداهمه حدث وهو في غفلة من أمره، أو متغافلًا عنه، أو مهملًا مؤشراته.

فدفع الخطر يحتاج إلى استحثاث اليقظة؛ لئلا يقع من حيث لا يتوقع، وهذا الاستحثاث هو ما نعبِّر عنه بما يسمى : بثقافة الخطر، وعلى قدر ما ننمي ثقافة الخطر يكون هاجسًا نضع عليه عيوننا نتوجسه خشية وقوعه.

بعكس حال لا سلامة، فالأمر مفلوت على كفّ الحدث، حتى إذا تواترت عناصره، وتهيأت أسبابه، اندلع لا يردعه رادع من تدبير أو يحبسه حابس وقاية، فيصيب البيت في موجع، وقد يتطاول تأثيره فيقع في مقتل.

وليس هذا فحسب! فقد تولد حالة نفسية يعاني منها من تعرض للحدث، يكابد آثارها، تلاحقه فجيعتها أينما حلَّ وارتحل، فلو تدبَّرنا ذلك الحدث وتوقعنا تلك الفاجعة وتصورنا الدمار لوضعناه في الحسبان، ولعملنا على تقليل فرص وقوعه، وطالما لم تكن تقديراتنا متمثلة حجم الخطرن فهو ما ندعوه بقصر ثقافة الخطر أو انعدامها. وبهذا المدلول يقوم مقوم السلامة على أنها غاية لا تُقاس بثمن تمثل شريان الحياة .